النصيحة المفقودة

النصيحة خصلة طيبة، وفِعلة كريمة، يقصد بها الناصحُ برَّ المنصوح، وإيصال الخير له، وهي من أعظم ما يبذل من وجوه الإحسان؛ إلا إن هناك قصوراً عند بعض الناس في معناها؛ فتجدهم يقصرون معنى النصيحة على إشعار الناس بأخطائهم، وإيقافهم عليها، وهذا حصر قاصر؛ فالنصيحة كما يقول الإمام ابن الصلاح: «كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً»(١).

فقوله: «وجوه الخير» يحوي معنى واسعاً، أحد معانيه إبداء النقد، وإن من معاني النصح التي ينبغي للناصح أن يتوخَّاها في المنصوح أن يكون مع حرصه على تبليغه النقد الهادف أن يبلغه الثناء الصادق، وشاهد هذا قول النبي ﷺ: «**المؤمن مرآة أخيه**»(٢)، والمرآة تبدي المحاسن والمساوئ، خلافاً لقصر بعضهم الاستدلال بهذا النص على مجرد النقد، وبيان الخطأ فقط، وفي هذا الشأن إفادة حسنة عن الإمام أحمد

(١) صيانة صحيح مسلم (ص٢٢٣).
(٢) أخرجه أبو داود (٤٩١٨)، والترمذي (١٩٢٩) وحسنه العراقي في تخريج الإحياء (٢/ ١٨٢).

في ذلك يحكيها عبد الله ابن الإمام أحمد عن أبيه فيقول: «جاء رجل إلى أبي فذكر أنه كان عند بشر ـ يعني: ابن الحارث ـ، فذكروه فأثنى عليه بشر، وقال: لا ينسى الله لأحمد صنيعه، ولولاه لهلكنا، قال عبد الله: ووجه أبي يتهلل، فقلت: يا أبت أليس تكره المدح في الوجه؟ فقال: يا بني إنما ذُكرت عند رجل من عباد الله الصالحين، وما كان مني فحمد صنيعي، وقد قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن مرآة أخيه**»»[(١)].

فالإمام أحمد يستدل على ثناء الحارث بحديث: «**المؤمن مرآة أخيه**»، وهذا يؤكد ما نحن بصدده؛ وهذا المعنى مفقود في ممارسات بعض الناس، فتلقى الواحد منهم لا يُعْرف إلا بالنقد فقط، ظانّاً أنه بذلك أنه قد أدى ما عليه، ولذلك أمثلة:

تجد بعض الناس يعيش في بيته لا يسمع منه أولاده، ولا زوجه كلمة ثناء واحدة، وإنما يعرفون منه الأوامر والنواهي، والنقد والملام!

وتلقى بعض المديرين لا يعرف الموظفون والمعلِّمون معه سوى التثريب والتأنيب، وإبداء الملحوظات والعيوب!

وتجد بعض المعلِّمين يمر عليه الطلاب تلو الطلاب، لا يُذْكَر أنه أظهر محامد طالب، أو أشاد بأداء مجتهد، أو أبدى موهبة موهوب، وإنما سبيله معهم اللوم والتقريع!

---

(١) الآداب الشرعية (٣/ ٤٣٧).

وفي جانب مناقشة رسائل الماجستير والدكتوراه تجد من منهج بعض المناقشِين أنه لا يبرح ينبِّه على أخطاء الباحث، ويظهر مساوئه، دون أن يذكر له حسنة واحدة!

ومن تأمل سيرة النبي ﷺ يجد أمثلة مشرقة في جمعه ﷺ بين الثناء الصادق، والنقد الهادف.

فنبيُّنا ﷺ الذي قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**يا معاذ أفتَّان أنت**»[(١)]، هو الذي قال: «**أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ**»[(٢)]، وهو الذي قال: «**يا معاذ والله إني لأحبك**»[(٣)].

ونبيُّنا ﷺ الذي قال لخالد بن الوليد رضي الله عنه لما أخطأ في قتل بني جَذِيمة: «**اللَّهُمَّ إني أبرأ إليك مما صنع خالد**»[(٤)] هو الذي لقَّبه «سيف الله»[(٥)].

ونبيُّنا ﷺ الذي عاتب أسامة بن زيد رضي الله عنه عتاباً شديداً لقتله ذلك الرجل الذي قال: لا إلٰه إلا الله لما رفع عليه أسامة السلاح[(٦)]، لم يمنعه من أن يعلن أنه من أحب الناس إليه بعد

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥)، ومسلم (٤٦٥).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٩١)، والنسائي في الكبرى (٨٢٨٧)، وابن ماجه (١٥٤)، وصححه الترمذي.
(٣) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣).
(٤) أخرجه البخاري (٤٣٣٩).
(٥) أخرجه البخاري (٣٧٥٧).
(٦) أخرجه مسلم (٩٦).

أبيه[١]، وأن يؤمِّره على الجيش في آخر حياته ﷺ[٢].

وإن الجمع بين هذين الأمرين سبيل لقَبول المنصوح ما يوجَّه إليه من نقد؛ بل هو من الحكمة التي يؤتيها الله من شاء من عباده في النقد؛ وقد قال الرسول ﷺ: «**نِعم الرجل عبد الله، لو كان يصلي من الليل**» فكان ابن عمر رضي الله عنه بعدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً[٣].

فالنبي ﷺ أثنى عليه أولاً، ثم أرشده آخراً.

اللَّهُمَّ اهدنا، وسدِّد ألسنتنا.

(١) أخرجه البخاري (٣٧٣٠)، ومسلم (٢٤٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٥٠)، ومسلم (٢٤٢٦).

(٣) أخرجه البخاري (١١٢١)، ومسلم (٢٤٧٩).